مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثاني الثلاثون – نيسان ٢٠٢٤– شوال ١٤٤٥
ISSN–2536–0027

الحياة الفكرية في بلاد الشام في المرحلة الإفرنجية (٤٩١ هـ/١٠٩٨م– ٦٩٢هـ/١٢٩٣م)

الباحث أحمد محمد سويد عبد الله
الجامعة الإسلامية / كلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم التاريخ
ahmdswydaldlymy@gmail.com

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله وسلم.

أما بعد:

فتعد مدّة حكم الإفرنجيين من المُدد المهمة التي مرت على العالم الإسلامي، وذلك لما تمخض عنها من احتلال دام قرابة قرنين من الزمن، مارس فيها المحتل الكثير من أساليب القتل والتخريب، وقد أعقب ذلك مقاومة إسلامية تكللت بتحرير البلاد وخروج الإفرنج منها، تاركين وراءهم الكثير من التساؤلات والطروحات القابلة للبحث والدراسة، الأمر الذي دفع المهتمين في هذا الحقل إلى الكشف عن جوانب هذا الصراع بخفاياه، إلا أن ما يلاحظ أن مجمل هذه الدراسات قد سلكت طرقاً متشابهة كتعدادها للحملات الإفرنجية وما نتج عنها، بالإضافة إلى تركيزها على نواح عسكرية بحتة، وما رافقها من بطولات لقادة الغزو أو الجهاد الإسلامي في حين لم تركز كثيراً على الحياة الفكرية خلال تلك الفترة.

لقد حملت هذه الدراسة عنوان "الحياة الفكرية في بلاد الشام في المرحلة الإفرنجية(٤٩١-١٠٩٨م/٦٩٢ه-١٢٩٣م)، وجاءت محاولة للتعريف عن الحياة الفكرية في تلك المرحلة والتي لا تقل شأناً عن دور القادة العسكريين في مواجهة الغزو الإفرنجي. وتركز البحث خلالها على تتبع دور المفكرين والعلماء في رسم وتثبيت الدور الفكري والحضاري للمجتمع الإسلامي.

التعريف بالموضوع وأهميته

تكمن أهمية الموضوع في إبراز دور الفكر والعلم في تنوير الحياة ببلاد الشام، ودور العلماء باعتبارهم المؤسسة التعليمية التي أسهمت في توجيه مسار الفكر العربي بالمجتمع الدمشقي خلال الفترة المدروسة.

الجديد في الموضوع (الابتكار)

يسلط موضوع البحث على الحياة الفكرية لبلاد الشام خلال الاحتلال الإفرنجي في فترة تعد من الفترات المهمة في ذلك الوقت ، ومن خلال طيات فصول البحث سوف يتناول الأوضاع العامة في بلاد الشام خلال الفترة المدروسة، وتطور الحياة الفكرية وجهود المفكرين في نتاجهم الفكري في تثبيت القيم الاجتماعية، والعلمية للمجتمع الدمشقي. بأسلوب علمي رصين. وما سيضيفه البحث على الموضوع أنه سيتناوله بشكل موسع ودقيق، وبمنهجية علمية القصد منه خدمة العلم وطلاب العلم

ومن النتائج المتوخاة في البحث: أن الغزو الإفرنجي لبلاد الشام أثرٌ في توسيع نشاطات العلماء في مجال التأليف بجمعهم بين تدريس العلوم الدينية والمؤلفات التاريخية، والمتمثلة ببروز مؤلفات ذات طابع جديد هي المذكرات الشخصية، والسير الذاتية، واليوميات وتاريخ الأسر، وكتب الفضائل تخليدا لقادة الجهاد الإسلامي وبطولاتهم.

إشكالية البحث

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثاني الثلاثون – نيسان ٢٠٢٤– شوال ١٤٤٥
ISSN-2536-0027

لقد جاء طرح الإشكالية لموضوع البحث على النحو التالي:
كيف أسهم العلماء في تفعيل المشهد الفكري والثقافي في بلاد الشام خلال فترة البحث؟
ولأن طبيعة الموضوع تتشعب إلى عدة جوانب، راعينا في ذلك هذه الجزئية من خلال البحث فيها قصد تغطيتها، لذلك تفرعت جملة من التساؤلات للإحاطة به أهمها:

١- ما دور العلماء والمفكرين في بلاد الشام في تمثيل المشهد الفكري والثقافي؟
٢- ما طبيعة التعليم في بلاد الشام؟ وما هي مناهجه المتبعة وتقسيماته ومواده المدرسة؟
٣- ثم ما مدى إسهام المدارس باختلاف مذاهبها الفقهية في تحريك المشهد الثقافي والفكري خلال فترة البحث؟

فرضية البحث

تنطلق فرضية البحث في النقاط الآتية:

١- إن للعلماء والمفكرين دوراً في مواجهة الغزو الإفرنجي لبلاد الشام.
٢- كان للمؤسسات التعليمية دورٌ بارزٌ في نشر الثقافة في بلاد الشام وخاصة بث روح الجهاد في مقاومة الغزو الإفرنجي.
٣- هنالك مجموعة من العوامل ساعدت على أن تكون بلاد الشام تحت سيطرة الغزو الإفرنجي.

منهجية البحث

تم الاعتماد في كتابة البحث على المنهج الاستقرائي التاريخي ، والمنهج الوصفي التحليلي؛ متضمناً الحياة الفكرية لبلاد الشام خلال الاحتلال الإفرنجي ، وخلال الفترة الزمنية المنوط بها البحث، مع نقد وتحليل بعض النصوص واستخلاص النتائج التي أسعى إلى التوصل إليها.

الفصل الأول

أوضاع بلاد الشام في ظل الاحتلال الإفرنجي

تمهيد:

كانت الحروب الإفرنجية إحدى حلقات الصراع الطويل بين الشرق والغرب في القرنين السادس والسابع الهجريين / الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين فضلاً عن كونها مواجهة حضارية شاملة بين الحضارة العربية الإسلامية والغرب الأوربي، وقد أعد الأوربيون كل ما استطاعوا من قوة لهذه المواجهة وتمكنوا خلال المرحلة الأولى منها أن يستقروا في أجزاء من بلاد الشام وتأسيس أربعة كيانات سياسية لهم تمثلت في إمارة الرها وانطاكيا وطرابلس ومملكة بيت المقدس الإفرنجية، وظلت هذه المستعمرات تستقبل الجموع الإفرنجية التي كانت تتوافد من وراء البحار، وعلى الرغم من أنهم عاشوا في بلاد الشام لمدة طويلة تمتد لما يقارب قرنين من الزمن وتأثرهم بالمحيط الإسلامي من حيث أسلوب حياتهم اليومية وسلوكياتهم إلا أنهم تمسكوا بمظاهر عديدة تؤكد انتسابهم لثقافة وحضارة المجتمعات الأوربية التي جاؤوا منها.

وفي هذا الفصل سنوصف الأوضاع التي عاشتها بلاد الشام خلال الغزو الإفرنجي من خلال ثلاثة مباحث وكما يأتي:

المبحث الأول: الأوضاع السياسية والعسكرية

أولاً: الأوضاع السياسية عشية الغزو الإفرنجي لبلاد الشام

شهدَ المشرقُ الإسلاميُ في القرنِ الخامسِ الهجري / الحادي عشرَ الميلادي انقساما سياسيا واضحا، ومنْ مظاهرَ ذلكَ وجودُ خلافةٍ عباسيةٍ في بغدادَ، وخلافةٌ فاطميةٌ في القاهرةِ، وسلطنةٌ سلجوقيةٌ في بلادِ فارس، وقوى محليةٌ أخرى، وكانتْ الخلافةُ العباسيةُ تعاني منْ الضعفِ لخضوعها التامِ لسيطرةِ البويهيينَ [١].

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثاني الثلاثون – نيسان ٢٠٢٤– شوال ١٤٤٥
ISSN-2536-0027

اتسمَ النصفُ الثاني للقرن الخامس الهجري/ الحادي عشرَ الميلادي بالصراع السياسي والعسكري والمذهبي بينَ الخلافتين العباسيةِ والفاطميةِ، وبرزَ ذلكَ منْ خلال تهديدِ أبي الحارث البساسيري [٢] لدار الخلافةِ ببغداد، ودعوتهُ للخليفةِ الفاطميّ المستنصرْ باللهِ(معد بن الظاهر المعروف) على منابرَ بغدادَ، ورفعهُ الأذانُ بحي على خيرِ العمل، وذلكَ عامٌ (٤٥٠ ه/ ١٠٥٨ م)، الأمرُ الذي عجّلَ دخولُ السلاجقةِ لبغداد بعد استعانةِ الخليفةِ بهمْ للتخلص منْ التهديدِ الذي كانَ يشكلهُ البساسيري للخلافةِ [٣].

وكانت صفحة الحروب الإفرنجية هي الصفحة المميزة للحياة السياسية في بلاد الشام في القرنين السادس والسابع الهجريين/ الثاني عشر والثالث عشر الميلادي، وقد بسط الإفرنجيين نفوذهم على معظم المدن الشامية فقد ظهر الجيش الإفرنجي أمام أسوار إنطاكية، سنة ٤٩١ ه / ١٠٩٨ م، وظل محاصرا لها حتى استولى عليها، مؤسسا بها مملكة، ثم بسط نفوذه على الرها، وأسس بها مملكة ثانية ٤٩١ ه / ١٠٩٨ م، ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل بدأت أطماع الإفرنجي تتجه نحو بيت المقدس، فسيطروا عليه، وأسسوا فيه إمارةٌ ثالثةٌ فيها ٤٩٢ ه / ١٠٩٩ م، وكانت الخاتمة لمدينة طرابلس الذي ظل الجيش الإفرنجي محاصرا لها سنين عديدة، حتى سقطت سنة ٥٠٢ ه / ـ ١١٠٩ م، وأسس إمارة فيها [٤].

ثانياً: المشروع الوحدوي الإسلامي في بلاد الشام لصد الغزو الإفرنجي

كان موقف حكام البلاد سلبيا من الغزو الإفرنجي، فلم يستطيعوا الوقوف في وجهه ولاسيما الفاطميون [٥]، باستثناءَ عماد الدين زنكي [٦] التي كانتْ بدايةِ ولايتهِ إيذانا بمرحلةٍ جديدةٍ في الصراع معَ الغزاةِ، فقدْ جعلَ أساسُ حركتهِ، تحقيقُ هدفين ساميين هما : توحيدُ المدن والإماراتِ المحليةِ في الجزيرةِ والموصل، ومجابهةُ الإفرنجيين اعتمادا على قاعدةٍ عسكريةٍ وبشريةٍ واسعةِ النطاق، تمكنَ عمادْ الدينْ منْ خلال جهودٍ مكثفةٍ أنْ يوحدَ تدريجيا البلادَ الإسلامية في الجزيرةِ الفراتية، ثمَ عبرَ الفراتَ وملكَ حلبَ، وغيرها منْ البلاد الشامية، وتطلع بعد ذلك إلى استعادة دمشق، فحاصرها ثلاث مرات لكنه لم يتمكن من أخذها [٧].

لم يقف عماد الدين زنكي مكتوف الأيدي حيث واصل عمليات التوحيد، ونازل الإفرنجيين في عدد من الحصون والقلاع، كحصن الأثارب [٨] الذي تمكن من السيطرة عليه، ثم توجه إلى حصن حارم [٩] فحاصره، فأنفذ إليه الأعداء يطلبون منه الصلح [١٠] فأجابهم بالإضافة إلى شن العديد من الغارات، وتمكن سنة ٥٣٩ ه / ١١٤٤ م [١١]من توجيه ضربة قاصمة اليهم باسترداده للرها، منتزعاً أولى إماراتهم في البلاد الإسلامية.

لقد برزت على المسرح السياسي في بلاد الشام شخصية جديدة أصبح لها شأن كبير في البلاد الإسلامية وهو نور الدين محمود الزنكي [١٢] (٥٤١-٥٦٩ ه/ ١١٤٦-١١٧٣م) الذي استمر مدة حكمه ثمانية وعشرين سنة إذ كان مع والده لما قتل وهو يحاصر قلعة جعبر، وقد أشار عليه أسد الدين شِيركوه [١٣] بالتوجه إلى حلب والاستقرار فيها [١٤] وعلى أثرها أقر السلطان ألب أرسلان بن سلطان محمود السلجوقي بتوليته وذلك للحفاظ على حلب [١٥]بعد أن تمكن نور الدين محمود من القضاء على الفتن الداخلية توجه إلى مواصلة حروبه وجهاده ضد الإفرنجيين إذ توجه إلى الرها سنة (٥٤١ه/ ١١٤٦م) لعصيان الإفرنجيين فيها، وقيام الأمير جوسلين دي ورتيناي بالسيطرة عليها باستثناء القلعة لوجود المسلمين فيها، فبلغ الخبر نور الدين وهو في حلب فسار إليها فلما وصل قريباً منها خرج جوسلين هاربا فدخلها نور الدين محمود في ذلك العام [١٦].

المبحث الثاني: الأوضاع الاجتماعية والثقافية

أولاً: الأوضاع الاجتماعية:

كانتْ الحروبُ الإفرنجية إحدى حلقاتِ الصراع الطويل بينَ الشرق والغربِ في القرنين السادس والسابع الهجريينْ / الثانيَ عشرَ والثالثَ عشرَ الميلاديين فضلاً عنْ كونها مواجهة حضارية شاملة بينَ الحضارةِ

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثاني الثلاثون – نيسان ٢٠٢٤– شوال ١٤٤٥
ISSN-2536-0027

العربيةِ الإسلاميةِ والغربِ الأوروبي، وقدْ أعدَ الأوربيونَ كلَ ما استطاعوا منْ قوةٍ لهذهِ المواجهةِ وتمكنوا خلالَ المرحلةِ الأولى منْ أنْ يستقروا في أجزاءٍ منْ بلادِ الشامِ وتأسيس أربعةِ كياناتٍ سياسيةٍ لهمْ تمثلتْ في إمارةِ الرها وأنطاكيا وطرابلس ومملكةُ بيتِ المقدس الإفرنجية، وظلتْ هذهِ المستعمراتِ تستقبلُ الجموعَ الإفرنجية التي كانتْ تتوافدُ منْ وراءِ البحار، وعلى الرغمِ منْ أنهمْ عاشوا في بلادِ الشامِ لمدةٍ طويلةٍ تمتدُ لما يقاربُ قرنين منْ الزمن وتأثرهمْ بالمحيطِ الإسلامي منْ حيثُ أسلوبُ حياتهمْ اليوميةِ وسلوكياتهمْ إلا أنهمْ تمسكوا بمظاهرَ عديدةٍ تؤكدُ انتسابهم لثقافةِ وحضارةِ المجتمعاتِ الأوربيةِ التي جاؤوا منها [١٧].

وكانتْ تعيشُ في بلادِ الشامِ فئاتٍ مختلفةٌ في العرقِ، والدينُ، واللغةُ، فكانَ منهمْ العربيُ، والتركيَ، والأرمنيَ. وعندما سيطرَ الإفرنجيون على حيفا وغيرها منْ مدن الساحل الشامي، استقرتْ عناصرٌ مختلفةٌ منْ الإفرنجيون في المنطقةِ منها : الفرنسيونَ، والإنجليزُ، والألمانُ، والإيطاليونَ، وغيرهمْ منْ سكان الغربِ الأوروبي الذينَ حضروا معَ الحملةِ الأولى، كما أنهمْ كانوا ينتمونَ إلى مدنٍ ومقاطعاتٍ مختلفةٍ في أوروبا. وقدْ شكلَ العربُ في بلادِ الشامِ أغلبية، وكانَ هؤلاءِ العربَ منْ المسلمينَ [١٨].

وكانَ المسيحيونَ الشرقيونَ في بلادِ الشامِ يعيشونَ جنبا إلى جنبٍ معَ المسلمينَ وعاشَ اليهودُ والطوائف الأخرى في إقطاعيةٍ حيفا ويبدو أنَ أعدادهمْ كانتْ قليلةً بصفةٍ عامةٍ، حيثُ يعملونَ بحرفةِ الصباغةِ وصناعةِ الزجاجِ الجيدِ للتصدير، ويعملونَ بالتجارةِ وأعمالِ الموانئ، وأحيانا بالزراعةِ [١٩].

وتأثرَ الإفرنجيون بالمسلمينَ في عاداتهمْ الخاصةِ بالاستحمامِ في الحماماتِ العامةِ التي كانتْ منْ العاداتِ السائدةِ بينَ المسلمينَ؛ فالحماماتُ تعتبرُ منْ أهمِ المؤسساتِ الاجتماعيةِ في الإسلامِ، وكانتْ ظاهرةُ تعددِ الحماماتِ في العصورِ الإسلاميةِ واضحةً، فللحمامِ في العمارةِ الإسلاميةِ مكانةٌ خاصةٌ، وعادةُ الاستحمامِ منْ العاداتِ الهامةِ في المجتمعِ الإسلامي؛ لأنها مظهرٌ منْ مظاهرِ الطهارةِ، والنظافةُ التي يحضُ عليها الإسلامُ، وروعي في تخطيطِ تلكَ الحماماتِ أنْ تحتويَ على ثلاثِ قاعاتٍ أوْ بيوت، فالبيتُ الأولُ مبرد مرطبٍ يخلعُ فيهِ المرءُ ملابسهُ، والثاني مسخنٌ مرخٍ (بيتُ الحرارْ) والبيتُ الثالثُ مسخنٌ مجففٌ [٢٠].

وبصورةٍ عامةٍ إنَ النظامَ الاجتماعيَ الذي سيطرَ على البلادِ هوَ النظامُ الإقطاعيُ، وهوَ نظامٌ غريبٌ وطارئٌ، بدأ تطبيقهُ منذُ أيامِ السلاجقةِ واستمرَ طوالَ عصورِ الزنكيينْ والأيوبيينَ والمماليكِ، وأدى هذا النظامِ إلى تنظيمٍ عسكري قويٍ ودقيقٍ مكنَ المسلمينَ منْ الصمودِ أمامَ فرسانِ أوروبا ونظمها العسكريةِ طوالَ زمنِ الحروبِ الإفرنجية [٢١]ومنْ آثارِ هذا النظامِ، تقسيمُ المجتمعِ الإسلامي إلى طبقاتٍ، تقومَ فيها سدودٌ وحواجزُ، وأولى تلكَ الطبقاتِ : طبقةُ الأمراءِ وأصحابِ الإقطاعاتِ والتجارِ والأثرياءِ والأمراءِ والسلاطين، والطبقةُ الثانيةُ : طبقةُ الزوايا والتكايا، قاموا بدراسةِ أمورِ الدينِ وفقهها، ونالوا مكانةً عندَ الحكامِ، أما الطبقةُ الثالثةُ : طبقةُ عامةُ الفلاحينَ وصغارِ التجارِ والصناعِ الذينَ يعملونَ، إما إجراءٌ في الأرضِ أوْ كادحينَ في خدمةِ القصورِ وعملِ السلاحِ وإعدادِ آلةِ الحربِ [٢٢].

ثانياً: الأوضاع الثقافية

لمْ يمنعْ الصراعُ الطويلُ المحتدمُ بينَ القوى السياسيةِ المختلفةِ في بلادِ الشامِ منْ ظهورِ مراكزَ تعليميةٍ وفكريةٍ في أرجائها، كما في دمشقَ، وبيت المقدس، وطرابلس وصورٌ(والتي كانت تسمى منطقة جبل عامل)، حيثُ غدتْ هذهِ المدنِ مراكزَ إشعاعٍ حضاريٍ للعلومِ المختلفةِ بصورةٍ عامةٍ، والعلومُ الدينيةُ بصورةٍ خاصةٍ [٢٣].

وعلى الرغمِ مما كان يعانيه ديار الشام من أزمات اقتصادية، وكوارث طبيعية، وحروب صليبية، إلا أن هذا لم يفقد المدن الشامية نشاطها وازدهارها الثقافي والفكري، كما لم يمنع من ظهور حركات البعث والعلم والأدب، الذي ازدهر ازدهاراً ملحوظاً آنذاك، وقد اعتمدت حركة البعث العلمي في ذلك العصر

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثاني الثلاثون – نيسان ٢٠٢٤– شوال ١٤٤٥
ISSN-2536-0027

على التراث الإسلامي الزاخر، بهدف إحياء شعائر الدين الاسلامي، فاهتموا بالقرآن الكريم وتفسيره، وبالحديث الشريف وجمعه وحفظه وشرحه[٢٤].

وقدْ تبنى الأيوبيونَ والزنكيونْ الحركةُ الفكريةُ في القرن السادس الهجري/الثاني عشر ميلادي، وكانتْ منْ أهم الظواهرِ الثقافيةِ في هذا العصرِ انتشارَ المدارسِ وكثرتها بهدفِ تثبيتِ الهويةِ الإسلاميةِ لهذهِ البلادِ، وكانَ لكلِ مدرسةٍ منْ هذهِ المدارسِ مكتبةٌ خاصةٌ، تضمَ الكتبُ في شتى العلومِ والمعارفِ، وشغفَ أهلِ ذلكَ العصرِ، باقتناءِ الكتبِ، مما أدِى إلى ازدهارِ المكتباتِ الخاصةِ مثلَ مكتبةِ أسامة وابنَ العديم وابن القفطي، واهتمَ الأمراءُ في قصورهمْ بإفرادِ جناحٍ خاصٍ للكتبِ فيها ومنْ أبرزها مكتبةُ الملكِ المنصورْ صاحبُ حماةَ فقدْ جمعَ فيها منْ كتبِ العلومِ عدداً كبيراً [٢٥].

كانتْ دمشقُ منذُ النصفِ الثاني للقرنِ الخامسِ الهجري / الحادي عشرَ الميلادي منْ أهم المراكزِ الفكريةِ في بلادِ الشامِ، وبرزَ دورها واضحا بنشرِ العلومِ الدينيةِ، كالقرآنِ وعلومِ الحديثِ، ولطالما كانتْ بلادُ الشامِ أهمَ مراكزِ الإشعاعِ الثقافي في الشرقِ العربي، وكانَ لدمشقَ وضعيةٌ خاصةٌ بسببَ موسمِ الحجِ الذي كانَ مجالاً للتبادلِ الثقافي، حيثُ أنَ معظمَ الحجاجِ كانوا منْ طلابِ العلمِ الذينَ يأتونَ لدمشقَ لتلقي العلمِ أوْ التدريسِ خاصة وأنها كانتْ منْ أهمِ مراكزِ العلمِ في العالمِ العربي [٢٦].

وقد حظي بيت المقدس باحتضان عدد كبير من علماء المسلمين الذين جاؤوا بقصد الإفادة من علمائها أو التعبد فيها، أو التدريس فيها، مما أسهم في ازدهار حياتها الفكرية والثقافية، فقد نزل بها الإمام أبو حامد الغزالي ٤٨٨ ه / ١٠٩٣ م بعد تركه التدريس في نظامية بغداد، وتمكن أثناء إقامته بها من تصنيف كتاب إحياء علوم الدين. ودرس بالزاوية، وعرفت فيما بعد بالغزالية لإقامته بها وتدريسه فيها [٢٧]، كما نزلها الشيخُ أبو الفرجْ الشيرازيّ [٢٨]المقدسي الأنصاري الذي قامَ بنشرِ مذهبِ الإمامْ أحمدْ بنْ حنبلْ في بيتِ المقدسِ ثمَ رحلَ عنها ليقيمَ بدمشق [٢٩]،وشهدتْ دمشقُ نشاطاً واضحا للحنابلةِ تمثلُ بنزولِ الفقيهِ الحنبلي أبي علي بنْ الفراءِ [٣٠] الذي عملَ على نشرِ مذهبِ الإمامْ أحمدْ بنْ حنبلْ في دمشقَ وبيتِ المقدسِ، وما حولها [٣١]. وتولى عددٌ منْ الفقهاءِ الذينَ قدموا للتدريسِ فيها مناصبُ هامةٌ لغزارةِ علمهمْ، فقدْ جاءَ الفقيهُ الشافعي أبو المظفرْ المروزي [٣٢]، لتدريسِ الحديثِ ثمَ تولى القضاءُ فيها، وبقيَ بها حتى وفاتهِ، كما كانَ لعلماءُ علمَ القرآنَ الذينَ نزلوا دمشقُ مساهمةٌ في تعليمِ أهلها، ومنهمْ المقرئُ البغداديُ أحمدْ بنْ عبدِ اللهْ المعروفِ بأبي البركاتِ انتقل لدمشق عام ٤٥١ه/١٠٥٩م كان محدثاً ومقرئاً للقرآن، وتوفي عام ٤٩٢ه/١٠٩٨م [٣٣].

يتضحَ مما سبقَ دورُ دمشقَ في نشرِ علومِ القرآنِ والحديثِ والفقهِ منْ خلالِ زيارةِ العلماءِ للدراسةِ والتدريس، وما تبعَ ذلكَ منْ تبادلٍ فكريٍ بينَ علماءِ مدنِ العالمِ الإسلامي المختلفةِ مما تركَ آثارهُ واضحةٌ في إثراءِ الحياةِ الفكريةِ كما نشطتْ الحركةُ الفكريةُ في مدنٍ شامية أخرى كصورٍ، وطرابلس فقد حدثَ بصورِ بندار بن محمدْ الفارسي الصوفيةِ [٣٤]، وبطرابلس أبو القاسمْ المرورذي الشيرازيّ الواعظ [٣٥].

المبحث الثالث: الأوضاع الاقتصادية

في هذا المبحث سنتكلم عن المظاهر والتبادل الاقتصادي التي حصلت بين بلاد الشام والإفرنجيين وسنبدأ بمجال الخدمات المصرفية والصيارفة. ومن ثم التبادل التجاري وكما يأتي

أولاً: الأعمال المصرفية:

بالنظر للازدهار التجاري والتبادل الاقتصادي بين المسلمين والإفرنجيين في بلاد الشام في تلك الفترة، فقد وجب على الطرفين وجود أعمال مصرفية تخدم المصالح التجارية بينهما.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثاني الثلاثون – نيسان ٢٠٢٤– شوال ١٤٤٥
ISSN-2536-0027

وكانت أغلب مدن الشام يوجد فيها سوق للصرافين، أو خان للصرافين على الأقل، فقد كان بمدينة القدس والعراق والأردن ولبنان سوق كبير للصرافين، والسبب يرجع إلى الكم الهائل من السياح والحجاج والتجار الوافدين من شتى أنحاء أوربا، وهذا السوق كان يقع عند شارع يطلق عليه اسم شارع المعبد [٣٦].

لقد كانت طريقة التعامل المالي في أسواق الصيارفة أن يعطي التاجر المال للصراف ويحصل منه على صك بما دفعه، وكلما اشترى بضائع سدد ثمنها بهذه الصكوك، وهذه الطريقة تعرف في وقتنا الحاضر باسم " الشيكات المحولة " [٣٧]، "وتوجد طريقة أخرى للتعامل المالي بين التجار، وهي ما يعرف الآن " بالسندات المالية المؤجلة " وهذه الطريقة يستفيد بها التاجر من استغلال رأس المال كله في التجار وسداد هذه المبالغ تتم بعد عملية بيع بضاعته، حيث يقوم الصيارفة بتحصيل المبالغ المطلوبة لقاء عمولة أو مرتبات متفق عليها، ويستفيد من هذه العملية كل من المقرض والمقترض والوسيط في نفس الوقت، وفي هذه العملية يضمن المتعامل وصاحب رأس المال حقوقه بلا جهد ولا عناء" [٣٨].

واستخدم المسلمون أيضا في تجارتهم مع الإفرنجيين نظام " الصكوك المالية المحولة للغير"، التي كانت سائدة ومتداولة في تلك الفترة. واقترن ظهور هذه الطريقة بزيادة النشاط التجاري بين الشرق والغرب فترة الحروب الإفرنجية، فقد كان من مميزات هذه الطريقة أنها تحفظ الأموال من الضياع نتيجة لسفر التاجر ومخاطر الطريق التي يكثر فيها قطاع الطرق، وبهذه الطريقة يحصل التاجر على سند مكتوب فيه ما أودعه من مبلغ، وبهذا السند يستطيع أن يحصل على قيمة السند بعد أن يصل إلى المكان الذي ينوي الذهاب إليه [٣٩].

كان للمسلمين خبرة واسعة بنظام سجلات الحسابات التي كثر استخدامها لدى التجار والصيارفة والتي كانت موضع ثقة الجميع ولا تقبل النقض وكان نظام " المقارضة " معروفا في مدة الحروب الإفرنجية، فهذا النظام يشترك فيه اثنان صاحب رأس المال والمستثمر ونسبة الربح تقسم بينهما بنسبة يتفق عليها كلا الطرفين [٤٠].

وكان التجار من المسلمين في دمشق منغمسين في الثراء في تجارتهم كلها من هذا الساحل الإفرنجي، ولهما الأمناء من المقارضين قدرهما عند أمراء المسلمين والإفرنجيين [٤١].

ثانياً: التبادل التجاري بين بلاد الشام وأوروبا خلال الاحتلال الإفرنجي

إنَ التبادلَ التجاريَ بينَ المسلمينَ والإفرنجيين كانَ لهُ أثراً كبيراً، في حالةِ الانتعاشِ التي شهدها المجتمعُ الإسلاميُ في بلادِ الشامِ وخاصةً في المدنِ، فعلى الرغمِ منْ الظروفِ القاسيةِ التي مرتْ بها كثيرٌ منْ مدنِ الشامِ في تلكَ الفترةِ إلا أنَ نسبةً كبيرةً منْ أهلها اتسعتْ ثرواتهمْ وظهرتْ عليهمْ علاماتُ النعمةِ [٤٢].

وقدْ أدى تشجيعُ بعضِ سلاطينِ المماليكِ للتبادلِ التجاري بإعفاءِ التجارِ منْ دفعِ المكوسِ (الجبايةِ أو الضريبةِ)، كذلكَ بتخفيضِ أسعارِ السلعِ لجذبِ أكثرِ عددٍ منْ التجارِ الذينَ يترددونَ على البلادِ لشراءِ ما يصلُ إليهمْ منْ منتجاتِ البلادِ الأخرى والسلعِ التي يتمُ إنتاجها محلياً [٤٣].

وقدْ قررَ سلاطينُ المماليكِ أيضاً أنْ يحملَ التجارُ الأجانبُ جوازاتٍ يبرزونها إلى السلطاتِ الإسلاميةِ كلما دخلوا منطقةٌ منْ المناطقِ، وتعتبرَ هذهِ الجوازاتِ بمثابةِ أمرٍ منْ السلطانِ بتسهيلِ سفرِ هؤلاءِ التجارِ وتأمينهمْ والعملِ على راحتهمْ طوالَ مدةِ تواجدهمْ في أملاكِ السلطانِ [٤٤].

"وبالرغم من كثرة الحروب التي نشبت بين المسلمين و الإفرنجيين فقد عرفت مسيرة القوافل الإسلامية التي تأتي إلى بلاد الشام أو تخرج منها، إلا أنها من ناحية أخرى ضاعفت النشاط التجاري مع الغرب الأوروبي بوجه خاص عن طريق الموانئ البحرية التي سيطر عليها الإفرنجيون في بلاد الشام ولذا فقد كان العامل

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثاني الثلاثون – نيسان ٢٠٢٤– شوال ١٤٤٥
ISSN-2536-0027

التجاري يدفع المسلمين والإفرنجيين سواء إلى عقد هدنة أو صلح ليتمكن الطرفان من استئناف التجارة دون عائق" (٤٥).

"لقد كانت للمصالح التجارية تأثير قوي في تفضيل علاقات سلمية حتى في أيام السلطان صلاح الدين الأيوبي حتى كان الأخير يدخل في مفاوضات سلام من أجل الصلح مع الإفرنجيين ولعل الدافع إلى ذلك سوء الأحوال الاقتصادية الناتجة عن كثرة الحروب التي خاضتها البلاد ضد الإفرنجيين وما نجم عنها من نفقات هائلة وأزمات اقتصادية بسبب كثرة العمليات الحربية، كما لم يكن للافرنجيين أنفسهم بأقل رغبة لنفس الأسباب، فعندما ساد السلام لفترات متقطعة انصرفت جهود الطرفين إلى تدعيم العلاقات التجارية بينهما" (٤٦).

وحرصَ الإفرنجيون على التبادل التجاري معَ المسلمينَ حتى أنهمْ سمحوا للتجار المسلمينَ بالقدوم بمتاجرهمْ إلى الموانئْ التي خضعتْ لحكمهمْ على الساحل، فطائفةُ الداوية بما اشتهرتْ بهِ منْ نشاطٍ مصرفيٍ ضخمٍ أبدتْ استعدادها للتوسع في أعمالها المصرفيةِ حتى تحمل العملاءِ المسلمينَ على الاشتراكِ فيها، واتخذتْ عمالاً وموظفينَ اختصوا بأمورِ المسلمينَ، وقد كان التجار الشاميون يطلبون حماية جماعة معينة في بلاد الإفرنجيين، وذلك بسبب الصراعات التي شهدها مجتمع الإفرنجيين للتنافس الشديد بين طوائفه المختلفة، فقد كان تجار الموصل عندما يذهبون إلى عكا يطلبون أن يكونوا تحت حماية فرسان وسرعان ما التزم الجانبان بمعاهدات تمنع إتلاف الأشجار وإبادة المحاصيل الزراعية وتقيدوا بها في أغلب الأحيان بأمانة وإخلاص (٤٧).

الفصل الثاني

دور العلماء في الحركة الفكرية في بلاد الشام في ظل الاحتلال الإفرنجي

تمهيد

كان للفقهاء والعلماء دور فاعل في المقاومة ضد الإفرنجيين، وهذا الدور لا يقل بل يزيد على ما قام به الجنود المحاربون لمقاومة الغزو الإفرنجي، فحمل السلاح لم يكن هو الوسيلة الوحيدة التي استخدمها الفقهاء والعلماء في المقاومة الشعبية ضد المحتلين بل كان للوعظ والإرشاد والحث على الجهاد والتحريض والتوعية المستمرة بين الجنود، ومشاركتهم، وتبيان فضل الجهاد والمجاهدين عند الله، وشحذ الهمم والتشجيع والخطابة الدائمة فيهم، وتلاوة القرآن الكريم، كل ذلك كان له الأثر الأكبر في تعزيز المقاومة الشعبية وحثها للالتفاف حول الزعماء والقادة، وقد وقف الفقهاء والعلماء بجانب القادة في المعارك يذكرونهم، ويعلمونهم ويفقهوهم أحكام القتال، والفئ والغنائم، لذلك كان دورهم أهم وأعمق وأدق.

وسيتناول الفصل دور العلماء في الحركة الفكرية في بلاد الشام في ظل الاحتلال الإفرنجي من خلال مبحثان هما:

المبحث الأول: دور الفقهاء والعلماء الدمشقيين في ظل الاحتلال الإفرنجي

"حفلت كتب التاريخ والتراجم بالكثير من الأمثلة حول علماء وفقهاء ساهموا مساهمة إيجابية بالسلاح واللسان للتصدي للإفرنجيين، فقد كانوا هم عماد دعوة الجهاد لأنهم أحسوا بخطر الإفرنجيين، وكانت دعوتهم إلى التجمع ونسيان الخلافات والأطماع الدنيوية والنزاع الذي كان سبباً للفرقة والضعف، وكان قد بلغ الحماس الديني بالعامة مبلغه، ولم يستجب الأمراء والحكام – أول الأمر- لذلك الحماس الديني لأنهم لم يكونوا ليستشعروا مسؤوليتهم في مواجهة العدوان، لكنهم استجابوا بعد ذلك في عهد صلاح الدين الأيوبي، وبشكل كبير حتى أن استجابتهم تلك تحولت في بعض الأحيان إلى معاتبة لبعض العلماء على تقصيرهم في عدم الوقوف ضد المتخاذلين، ومن أمثلة ذلك ما حدث بعد وفاة نور الدين محمود زنكي عام ٥٦٩هـ/١١٧٤م

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثاني الثلاثون – نيسان ٢٠٢٤– شوال ١٤٤٥
ISSN-2536-0027

حيث هاجم الإفرنجيين بانياس فـ" ظهرت خيبتهم وبان اليأس"[٤٨]، ثم خرج إليهم شمس الدين بن المقدم قائد عساكر دمشق واتفق معهم على الهدنة، وأن توفر دمشق مبلغاً بشكل مستعجل، كما يتم إطلاق عدد من الأسرى الإفرنجيين [٤٩]، وقد وصلت أخبار هذه الهدنة إلى صلاح الدين في مصر واعتبرها "مؤذنة بذلّ الإسلام"[٥٠] وأرسل كتباً إلى أعيان وعلماء دمشق

منهم الشيخ شرف الدين ابن أبي عصرون[٥١] فيها ملام وعتاب يقول فيها "وسيدنا الشيخ أول من جرد لسانه الذي تغمد له السيوف وتجرد، وقام في سبيل الله قيام من يقطّ عادية من تعدى وتمرد"[٥٢].

"ويعتبر الخطيب أبو الحسن على بن مسلم بن الحسن السلمي الدمشقي (٤٥٢- ٥٣٣هـ/ ١٠٦٠-١١٣٨م) أحد هذه الأمثلة على بروز الفكرة السابقة- الجهاد والوحدة وضرورة نبذ الفرقة والتشرذم- فقد شهد السلمي وهو في أواخر عمره غزو الإفرنجيين للشام، فخصص دروسه في جامع بني أميه الكبير للحديث عن فضائل الجهاد، تحريضاً لأهالي الشام على مقاومة المحتلين، وألف كتاباً في اثني عشر جزءاً أسماه "كتاب الجهاد"[٥٣]، ذكر فيه معارك الإسلام الأولى ودور المجاهدين، مع ذكر الآيات والأحاديث النبوية التي تحض على الجهاد وتبين مكانة المجاهدين، كما شرح فيه أبعاد الاحتلال الإفرنجي، وهو أول من بين أنه هجوم غربي على العالم الإسلامي كله ذو ثلاث شعب: الأولى في الأندلس، والثانية في صقلية وأفريقيا، والثالثة في بلاد الشام[٥٤].

وقد اعتبر السلمي في إحدى خطبه وهي بعنوان "الغزو واجب" توقف المسلمين عن ممارسته سبباً في اختلاف كلمتهم وتمزق وحدتهم من جهة، وفي طمع الأعداء بهم واحتلال بلادهم مبتدئين بالمناطق الأقرب متابعين حتى بلاد الشام التي وجدوها ممالك مختلفة متنافسة، ومذاهب متعددة مما أغرى باحتلالها، ثم شرح مسؤولية الإمام في قيادة الجهاد وفق مصلحة المسلمين، وبعد ذلك يقول:"فقد تبين مما ذكرت أنه إذا احتيج إلى الجماعة بغزو كلهم فرضاً واجباً عليهم وذلك في مثل هذه الحال التي نحن عليها الآن مع هذه الفرقة الهاجمة على بلاد الشام –يقصد الإفرنجيين -"[٥٥].

وممن استشهد في بداية الغزو الإفرنجي مدافعاً عن مدينة أنطاكية قبيل سقوطها عام ٤٩١هـ/١٠٩٨م الفقيه أبو عبد الله الحسين بن الحسن الشهرستاني[٥٦]، الذي "خرج مع الجموع إلى أنطاكية فاستشهد بها"[٥٧].

وقد أثار استيلاء الإفرنجيين على القدس المسلمين في جميع المناطق خاصة مصر والشام والعراق، وخلق ذلك الاحتلال توتراً في العالم الإسلامي "وانزعج المسلمون في سائر ممالك الإسلام بسبب أخذ بيت المقدس غاية الانزعاج"[٥٨] قاده زعامته الفكرية والشعراء والكتاب والعلماء والفقهاء، الذين جردوا حملة إعلامية لإثارة الناس ودفعهم لتحرير الأراضي المقدسة[٥٩]، وبدأت دعوة الجهاد تسري بين الناس في العالم

العربي الإسلامي بسرعة كبيرة[٦٠]، وفي رحم الحركة الفكرية التي قادها المفكرون تبلورت اتجاهات المقاومة ضد المحتلين الإفرنجيين، فخرجت من دمشق خاصة وبلاد الشام عامة سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م جماهير شعبية حاشدة بزعامة القاضي زين الدين أبي سعد الهروي[٦١] إلى بغداد ليشكلوا رأياً عاماً ضاغطاً على الحكام المتخاذلين "فأوردوا كلاماً أبكي العيون وأوجع القلوب، وقاموا في الجامع يوم الجمعة فاستغاثوا وبكوا وأبكوا، وذكروا ما دهم المسلمين بذلك البلد الشريف المعظم من قتل الرجال وسبي الحريم والأولاد"[٦٢]، وبناءً على ما سبق "ندب الخليفة ببغداد[٦٣] الفقهاء إلى الخروج في البلاد ليحرضوا الملوك على الجهاد، فخرج الإمام أبو الوفاء بن عقيل الحنبلي، وغير واحد من أعيان الفقهاء وساروا في الناس"[٦٤]، ليحرضوهم على المقاومة.

المبحث الثاني: المؤسسات التعليمية

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثاني الثلاثون – نيسان ٢٠٢٤– شوال ١٤٤٥
ISSN-2536-0027

تعد المؤسسات التعليمة من أهم مؤشرات التطور الفكري والحضاري في أي بلد، فهي منطلق العلماء ونشاهد على مرّ التاريخ أن أغلب الدول الإسلامية اهتمت بالمؤسسات التعليمة اهتماماً كبيراً، وفي بلاد الشام تحت الاحتلال الإفرنجي كانت أبرز المؤسسات التعليمية هي:

أولاً: المدارس

شكلت مسألة التعليم جزءا أساسياً في السياسة العامة التي نهجها الزنكيون والأيوبيون أثناء الصراع الدائر مع الإفرنجيين، وسعت إلى تحقيق هدفين: النهوض بالواقع العلمي والفكري، والثاني تهيئة أبناء الأمة وتعبئتهم تعبئة فكرية تؤهلهم لمقاومة الغزو الإفرنجي.

أولى نور الدين زنكي التعليم اهتماما بالغة أثناء فترة الغزو، وتركزت جهوده في ثلاثة محاور أساسية: تمثل الأول منها بإنشاء المدارس في الشام [٦٥]، والثاني بالاهتمام بالحديث النبوي وبإنشاء الدور الخاصة لتدريسه [٦٦]، في حين ركز الثالث منها على الطائفة الصوفية وشيوخها [٦٧].

اهتم نور الدين محمود اهتماماً كبيراً بالمدارس فأنشأ العديد منها في مدن الشام كحلب، ودمشق وحمص وحماة وبعلبك، ومنبج [٦٨]، حتى قال بعض المؤرخين: "إن الشام كانت خالية من العلم، فأصبحت في عهده مقرا للعلماء والفقهاء والصوفية" [٦٩] وربما يعود السبب في تبني هذا الرأي إلى ما لوحظ من كثرة عدد المدارس التي أنشئت في عهده، ونزول عدد كبير من العلماء إليها [٧٠] إضافة الى اجواء الاهتمام والتشجيع اللذين حظي بهما العلماء في عهده [٧١]، وكذلك ما قام به رجال دولته من الاقتداء به، وسيرهم على نهجه، بإنشائهم المدارس [٧٢].

وقد برزت أهداف نور الدين محمود واضحة من إنشائه المدارس في الشام أثناء حديث الأمير مجد الدين بن الداية إلى الفقهاء في حلب - بلسان نور الدين محمود- على أثر خلافات فقهية بينهما لقوله: "نحن ما أردنا ببناء المدارس إلا نشر العلم ودحض البدع من هذه البلدة، وإظهار الدين» [٧٣] وحمل كلامه معنيين اثنين: أولهما مرتبط بمقاومة الغزو الإفرنجي، والثاني مرتبط بالمذاهب الإسلامية وضرورة نشر العلم والمعرفة عن طريق التعليم بما في ذلك العلوم الدينية.

تركزت جهود الملك نور الدين محمود بداية على إنشاء مدارس في حلب، وكان لذلك أسبابه ودوافعه وهي نشر الأفكار الإسلامية الصحيحة والمعتدلة، وحشد أكبر عدد من الفقهاء والمحدثين لمقاومة الغزو الإفرنجي [٧٤] فأنشأ المدارس الحنفية والشافعية، واستقطب إليها أشهر علماء عصره، فأنشأ ثلاث مدارس للشافعية وواحدة للحنفية، فأقام المدرسة النفرية للشافعية [٧٥] عام ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م بعد استقدام الإمام قطب الدين النيسابوري إليها [٧٦]، من دمشق وتوليته إياها، والمدرسة الشعيبية للشيخ شعيب بن أبي

الحسن الفقيه الأندلسي فعرفت باسمه [٧٧] كما استدعى أعلم فقهاء عصره الإمام شرف الدين بن أبي عصرون [٧٨] من سنجار وبنى له مدرسة، وولاه أمر التدريس والنظر فيها، فكان أول من درس فيها فعرفت باسمه (العصرونية) [٧٩]، ومما يدل على أهمية هذه المدرسة ودورها ومكانة العلماء الذين تخرجوا منها ومن أبرزهم الفخر بن عساكر [٨٠].

أما المدرسة الحنفية فأنشأها في حلب عام ٥٥٤هـ/١١٤٩م والتي عرفت بالحلاوية وقد أوكل أمر التدريس فيها للفقيه الحنفي برهان الدين البلخي [٨١] بعد استدعائه من دمشق لما اشتهر به من علم ومكانة في الشام [٨٢] فكان له ولفقهاء مدرسته فضل كبير في نشر الفكر الحنفي [٨٣]. كما درس فيها بعد ذلك علماء أفاضل كالإمام الكاساني [٨٤] والإمام رضي الدين السرخسي [٨٥].

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثاني الثلاثون – نيسان ٢٠٢٤– شوال ١٤٤٥
ISSN-2536-0027

وثمة علماء آخرون لعبوا دورا كبيرا في إحياء الفكر الاسلامي في حلب، ذكر منهم ابن عساكر الفقيه الحافظ الأندلسي أبا الحسن المرادي القرطبي الشقوري [٨٦] الذي اشتهر بتميزه في التدريس، وقد اشتغل في حماة ثم في حلب بمدرسة ابن العجمي وبقي مدرسا فيها حتى وفاته(٥٤٤ه/١١٤٩م) [٨٧].

ثانياً: المساجد:

١ - **الجامع الأموي:** - من أكبر جوامع المسلمين وأقدمها وأشهرها وأجملها وأتقنها، بناه الوليد بن عبد الملك سنة (٩٦هـ-٧١٥م) [٨٨]. كان لهذا الجامع دورٌ كبيرٌ في الحياة الدينية ونشاط الحركة العلمية في بلاد الشام، وذلك بما احتضنته من تدريس العلوم الدينية، والعلوم الأخرى وكذلك احتضانه لطلبة العلم بمختلف الأعمار لدراسة القرآن الكريم والحديث والتفسير والفقه وغيرها من العلوم الشرعية، وأبرز من درّس فيه الشيخ عز الدين بن عبد السلام، والشيخ عماد الدين محمد بن الشماع [٨٩].

٢- **جامع حلب** :- بناه الخليفة سليمان بن عبد الملك وقيل: إن أخاه الوليد بن عبد الملك [٩٠] هو الذي بناه، ويعد مركزاً مهماً من مراكز العلم منذ قيامه، على الرغم من تعرضه للعديد من الهجمات من قبل الإفرنجيين وهجوم المغول فيما بعد.

إلا أنه عاد لمزاولة نشاطه الثقافي والعلمي بمجيء المماليك . فدرّس فيه علوم الفقه والحديث والقراءات واللغة والنحو والتفسير، وأبرز من درس فيه الشيخ شهاب الدين احمد الحموي [٩١].

٣- **المسجد الأقصى**: - كان المسجد الأقصى مركزاً دينياً مهماً في عالمنا الإسلامي، وذلك لما بذله العلماء من جهود كبيرة في الحياة الثقافية والعلمية والفكرية

فتخرج منه كثير من العلماء في شتى المجالات المعرفية، وأن رواد العلم كانوا يفدون إلى هذا المسجد من جميع الأفاق، وأبرز من درس فيه صلاح الدين العلائي وهو من أشهر المحدثين [٩٢]. وتاج الدين عبد الوهاب السبكي، وجمال الدين محمد بن النقيب.

٤ - **جامع حماة:** - ويطلق عليه الجامع النوري، حيث أنشأه السلطان نور الدين الزنكي سنة (٥٥٨هـ-١١٦٣م) [٩٣] وقد حظي باهتمام وعناية المماليك وأبرز من درّس فيه عفيف الدين إسحاق الحموي الذي انفرد بحلقة خاصة لتعليم القراءات السبع وقرأ بالجامع الإمام محمد بن أيوب بن بركات التاذفي. وحلقة الشيخ شرف الدين أبي القاسم البارزي [٩٤].

ثالثاً: دُور الحديث بدمشق

عني العلماء بدور الحديث فكان لهذا الدور الأثر في نشاط الحركة الفكرية فظهرت الكثير من المصنفات ورتبت ترتيباً فنياً مما يدل على أنه قد بذل فيها جهد كبير في ذلك منها ما رتب على الأبواب ومنها ما رتب على الاطراف ومنها ما رتب على مجاميع وغيرها، وممن درس بدمشق الحافظ تاج الدين محمد بن زين بن عساكر (ت ٦٦٠هـ-١٢٦٢م)، وشهاب الدين أبو شامة (ت ٦٦٠هـ-١٢٦٢م)، وتاج الدين عبد الرحمن الفازري (ت٦٧١هـ-١٢٧٣م) وغيرهم. ثم أنشئت دور للحديث مثل دار الأشرفية سنة (٦٣٠هـ-١٢٣٣م) ودار الأشرفية سنة (٦٥٤ه-١٢٥٦م) ودار الحديث السكرية والسامرية والنفيسة [٩٥].

رابعاً: خزائن الكتب (المكتبات)

كان لخزائن الكتب (المكتبات) دور مهم في نشاط الحركة العلمية والفكرية في بلاد الشام وكان يشرف على هذه المكتبات موظف أطلق عليه (خازن الكتب) [٩٦]، وقدمت هذه المكتبات خدمة لطلاب العلم سواء أكانوا من داخل بلاد الشام أو من البلاد الإسلامية الأخرى باعتبار أن العلم لا يمكن فصله عن المكتبات و طلاب العلم.

وكان الاتجاه إلى التأليف في الجهاد وفضله وفضائل الشام وبيت المقدس وغيرها من

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثاني الثلاثون – نيسان ٢٠٢٤– شوال ١٤٤٥
ISSN-2536-0027

المدن الشامية، سمة من سمات المؤلفات في هذا العصر واتجاهاً علمياً مطلوباً لضمان أمن فكري يشمل حب الوطن والاستماتة في الدفاع عنه ما يميز هذه الكتب التي تبين فضائل الجهاد ووجوبه، وما يدل عليه من الآيات والأحاديث، وفضائل بيت المقدس وبلاد الشام، ولا شك أن هذه الكتب تداولها طلاب العلم في مجالسهم فنشرت الوعي بينهم، وأسهمت في توفير الأمن الفكري والعسكري لبلادهم ومقدساتهم.

الخاتمة

شكل انعدام الوحدة السياسية والمذهبية في الشام قبيل الغزو الإفرنجي سبباً رئيساً في سهولة وقوعها تحت الاحتلال وعجزها عن مقاومته حيث أصبحت سهلة المنال للإفرنجيين، حيث ساهمت المدارس في النهوض بالحركة الفكرية وتوعية الناس بخطورة الغزو الإفرنجي فكانت من أبرز الوسائل الناجحة التي ركز عليها الزنكيون والأيوبيون في مقاومة الغزو، والتي كان للعلماء دور محوري فيها من خلال تدريسهم العلوم الدينية والتي كان لها دور مهم وخاصة القرآن والحديث النبوي الشريف الدور في تعزيز فريضة الجهاد في نفوس أبناء الأمة، واعتبارها من أهم وسائل الدعوة للجهاد، والتأكيد على الدور البارز للعلماء في توظيف هذه العلوم، كما فيه بيان لأهمية الدين في النصر على الأعداء.

وقد اتضح تنوع وسائل المقاومة التعبوية الفكرية ما بين القرآن الكريم والحديث والوعظ، وشيوع خطب الجهاد وتفعيل دور وعاظ الجهاد، وتزايد أهمية مراسلات العلماء ومكاتباتهم وأثرها في توحيد الأمة ونبذ الفرقة والحض على الجهاد والترغيب به للكشف عن جانب خفي للعلماء تمثل مشاركتهم في المواجهات العسكرية ومساهماتهم في تنشيط روح الجهاد بتقدمهم صفوف المقاتلين وحملهم السلاح وصبغه بصبغة جديدة وتغيير المفهوم السائد أن العلماء مدرسون ووعاظ وفقهاء.

وتجلت أهمية القيادة السياسية والعسكرية في السعي لوحدة الأمة وجمع صفوفها، وتفانيها في التصدي للصليبيين، وتذليلها عوامل الفرقة والانقسام وتسخيرها لنجاح العلماء في أداء المهام السياسية التي كانت تناط بهم لدرء خطر المحتلين لديار الإسلام، وهذا يؤكد مكانتهم وضرورة اللجوء إليهم وإشراكهم في الحكم.

أثر الغزو الإفرنجي في توسيع نشاطات العلماء في مجال التأليف بجمعهم بين تدريس العلوم الدينية والمؤلفات التاريخية، والمتمثلة ببروز مؤلفات ذات طابع جديد المذكرات الشخصية، والسير الذاتية، واليوميات وتاريخ الأسر، وكتب الفضائل تخليدا لقادة الجهاد الإسلامي وبطولاتهم.

---

(١) مسكويه، أحمد بن محمد بن يعقوب (ت٤٢١ هـ /١٠٣٠م) تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ط٢، ج٢، تحقيق أبو القاسم إمامي، الناشر سروش، طهران ٢٠٠٠، ٣١٧/٢.

(٢) رسلان بن عبد الله التركي مقدم الأتراك ببغداد قتل عام ٤٥١هـ/١٠٥٥م وقد عرف بهذا الاسم نسبة إلى بلدة بسا وقيل بسأسير فنسب إليه. ابن الجوزي، أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي بن محمد، (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ١٩ج، تح: محمد ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٢م. ٥٦/١٦.

(٣) ابن الأثير، محمد بن عبد الكريم الشيباني(ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، تحقيق عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٧. ١٨٠/٨.

(٤) رنسيمان، ستيفان، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٧م: ٤٠٤/١.

(٥) ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن محمد، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، القاهرة، د.ت،١٤٧/٥.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثاني الثلاثون – نيسان ٢٠٢٤– شوال ١٤٤٥
ISSN-2536-0027

(٦) عماد الدين زنكي بن آق سنقر الحاجب بن عبد الله. أبو المظفر الأتابك. الملك المنصور عماد الدين. قائد عسكري وحاكم مسلم، حكم أجزاء من بلاد الشام وحارب الصليبيين. الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) سير أعلام النبلاء، (٢٥ج)، مؤسسة الرسالة،بيروت، لبنان،ط١٩٩٣،٩م، ١٨٩/٢٠.

(٧) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، مصدر سابق،ص٢٧٢. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر سابق٧٣/١١. ابن العديم، زبدة الحلب،مصدر سابق،٢٥٨/٢.

(٨) الأثارب: قلعة بين حلب وإنطاكية بينها وبين حلب ثلاث فراسخ. ياقوت الحموي، معجم البلدان،مصدر سابق٢١٣/١.

(٩) حصن حارم: حصن حصين تجاه انطاكية.ياقوت الحموي الحموي،مصدر نفسه ٢٠٥/٢.

(١٠) أبو شامة، شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم، (ت٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م):الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية" ط١، تحقيق إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧م، ٧٨/١

(١١) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، مصدر سابق،ص٤٣٦. ابن الأثير، الكامل في التاريخ،مصدر سابق٩٨/١١.

(١٢) صاحب الشام، الملك العادل، نور الدين، ناصر أمير المؤمنين، تقي الملوك، ليث الإسلام أبو القاسم، محمود بن الأتابك قسيم الدولة أبي سعيد زنكي بن الأمير الكبير آقسنقر، التركي السلطاني الملكشاهي. الذهبي، سير أعلام النبلاء،مصدر سابق ٥٣٢/٢٠.

(١٣) هو ابن عم صلاح الدين الأيوبي (ت٥٤٦هـ،١٢٥٢م)، كانت له مكانة خاصة عند عماد الدين الزنكي لشجاعته. ابن الأثير، الكامل في التاريخ،مصدر سابق،٣٤١/١١.

(١٤) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، مصدر سابق،ص٢٨٦. ابن الأثير، الكامل في التاريخ،مصدر سابق،١١٢/١١. ٤٨. ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (ت٦٩٧هـ/١٢٩٨م): "مفرج الكروب في أخبار بني أيوب"، ج١-٣، تحقيق جمال الدين الشيال، مطبوعات إدارة إحياء التراث القديم، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥٣/ ١٩٥٧م. ١٠٧/١.

(١٥) ابن القلانسي، مصدر نفسه،ص٢٥٨. ابن الأثير، الكامل في التاريخ،المصدر نفسة،١١٣/١١

(١٦) ابن القلانسي، مصدر نفسه،ص٢٥٨. ابن الأثير،مصدر سابق، ١١٤/١١. ابن واصل، مفرج الكروب، مصدر سابق،١١٠/١.ابن العديم، زبدة الحلب، مصدر سابق،٦٥٤/٢.

(١٧) عاشور، سعيد عبد الفتاح، المجتمع الإفرنجي في بلاد الشام، مجلة المستقبل العربي، بيروت،١٩٨٧م، العدد١٠٢، ص٢٥.

(١٨) المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر، بيروت مكتبة مدبولي القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١١ه/١٩٩١م، ص١٤٣.

(١٩) بورشارد من دير جبل صهيون، وصف الأرض المقدسة، دار الشروق، ط١،عمان ١٩٩٥م.ص١١.

(٢٠) ابن الأخوة، ضياء الدين محمد القرشي(ت ٧٢٩ ه/ ١٣٣٢ م): معالم القربة في أحكام الحسبة، علق عليه ووضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١ م، ص١٦٦.

(٢١) رمضان، أحمد، المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، الجهاز المركزي للكتب الجامعية، القاهرة، ١٩٧٧،ص٤٩.

(٢٢) سلام، محمد زغلول، الأدب في العصر الأيوبي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٧،ص ٤٧.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثاني الثلاثون – نيسان ٢٠٢٤– شوال ١٤٤٥
ISSN-2536-0027

(٢٣) ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله (ت٥٧١ هـ /١١٧٦م) تاريخ دمشق، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت ١٩٩٥. ١٦٩/١٥
(٢٤) سلام، الأدب في العصر الأيوبي، مرجع سابق ص ٧٦
(٢٥) ابن واصل، مفرج الكروب، مصدر سابق، ٨٠/٤.
(٢٦) بيضون، جميل، تاريخ العرب الحديث، ط١، دار الأمل، الأردن، ١٩٩٢م، ص٧٠
(٢٧) ابن كثير، البداية والنهاية،مصدر سابق (١٤٩/١٢). الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مصدر سابق م١، ص٤٣٠
(٢٨) عبد الواحد بن محمد كان فقيها على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، له تصانيف كثيرة توفي عام
٤٨٦هـ/١٩٩٣م. ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة،مصدر سابق ١/ ٦٧-٧١، الحنبلي، الأنس الجليل،مصدر سابق م١، ص٤٣٣
(٢٩) الحنبلي، المصدر نفسه م١، ص٤٣٢.
(٣٠) محمد بن الحسين، كان إماماً في الفقه، وانتهت إليه رياسة المذهب ولقب بشيخ الحنابلة، ودرس، أفتى في عام ٤٥٨هـ/١٠٦٥م. ابن الجوزي، المنتظم،مصدر سابق ١٦/ ٩٨-٩٩؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق،مصدر سابق ٢٥/ ٣٥٩.
(٣١) ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، طبقات الحنابلة، تحقيق: عبد الرحمن سليمان مكتبة العبيكان، الرياض، ١،٢٠٠٥، ٦٨/٢.
(٣٢) عبد الجليل بن عبد الجبار بن عبد الله بن طلحة قدم دمشق وتفقه فيها وحدث فيها. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، مصدر سابق، دمشق، ٣٤/ ٤١.
(٣٣) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، مصدر سابق، ٧١/ ٢٣٥.
(٣٤) المصدر نفسه، ١٠/ ٤٨.
(٣٥) طاهر بن محمد بن أبي القاسم، قدم الشام وحدث بصور وبطرابلس عام ٤٦٣هـ/١٠٧٠م. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٤٢/ ٤٥٧-٤٥٨.
(٣٦) الحنبلي، الأنس الجليل، مصدر سابق،ص٤٠٣.
(٣٧) فهمي، زكي نعيم، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م، ص٣٤٢.
(٣٨) فهمي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى، مرجع سابق، ص٣٤٥.
(٣٩) المرجع نفسه، ص٣٤٧.
(٤٠) العسقلاني، ابن حجر (ت: ٨٥٢هـ/١٤٤٩م)، إنباء الغمر بأنباء العمر، تحقيق حسن حبشي،الهند، مكتبة حيدر آباد، ١٩٨٠م، ١٣٢/٢.
(٤١) ابن جبير، رحلة ابن جبير، مصدر سابق، ص٢٨١.
(٤٢) ابن العديم، زبدة الحلب، مصدر سابق، ص٢٥٧.
(٤٣) ابن قاضي شهبة، بدر الدين أبي الفضل (ت: ٣٧٤هـ/١٤٦٩م)، الكواكب الدرية في السيرة النورية، تحقيق محمود زايد، بيروت، دار الكتاب الجديد، ١٩٧١، ص٤٦.
(٤٤) بن عبدالظاهر، محيي الدين السعدي (ت: ٦٩٢هـ/١٢٩٢م)، شريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق مراد كامل، القاهرة، المؤسسة المصرية للطباعة، ١٩٦١، ص٥٢.
(٤٥) عاشور، سعيد عبدالفتاح، أوربا العصور الوسطى النهضات والحضارة والنظم، القاهرة، مكتبة
الانجلو المصرية، ١٩٨٦،ص٢٢٦.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثاني الثلاثون – نيسان ٢٠٢٤– شوال ١٤٤٥
ISSN-2536-0027

(٤٦) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، مرجع سابق ٩/٣.
(٤٧) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، مرجع سابق ٥١١/٣.
(٤٨) أبو شامة، "الروضتين في أخبار الدولتين،مصدر سابق،ج٢، ص٣٢٢.
(٤٩) البنداري،مختصر البرق الشامي، مصدر سابق، ص٣٣. ابن واصل، مفرج الكروب، مصدر سابق، ٤/٢.
(٥٠) أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، مصدر سابق، ج٢، ص٣٢٢. ابن واصل، مفرج الكروب، مصدر سابق، ج٢، ص٨.
(٥١) شرف الدين بن أبي عصرون، الروضتين،مصدر سابق، ج٤، ص١٠٩. وورد ذكره في مواضع كثيرة تدل على الدور الكبير الذي لعبه في المقاومة في ج١،ص ٥٨، ٦١، ٧٣، ٧٦، ٧٧، ٢٧٥، ٢٧٦، وج٢، ص٣١، ٣٢، ١١٩، ١٢٠، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٩، ٣٢٢، ٣٢٩، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٢، ج٣، ص٦، ٢٤٨، ٢٩٩، ج٤، ص١٠٨.
(٥٢) أبو شامة، الروضتين في اخبار الدولتين،مصدر سابق، ج٢، ص٣٢٢، وقد أورد نص الكتاب كاملاً في ج٢، ص٣٢٩. وفي الكتاب عتاب يعبر عن مدى احترام صلاح الدين لدور العلماء والفقهاء في المقاومة الشعبية والتحريض عليها.
(٥٣) لا يزال هذا الكتاب مخطوطاً، موجود منه في المكتبة الظاهرية بدمشق برقم (٣٧٩٦عام) أربعة أجزاء فقط، كاهن في كتاب الشرق والغرب زمن الحروب الإفرنجية مقتطفات صغيرة جداً مما اعتبره رسالة فى الجهاد السلمي، ص٢٨١-٢٨٢.
(٥٤) حلواني، أحمد عبد الكريم: "ابن عساكر ودوره في الجهاد ضد الصليبيين في عهد الدولتين النورية والأيوبية"، دار الفداء، دمشق، ١٩٩١م، د.ط، د.ب.، ص٤٠-٤١. عوض، محمد مؤنس: الحروب الصليبية"، دراسات تاريخية ونقدية، ط١، دار الشروق، عمان، ١٩٩٩م.، ص٥٣. وممن تأثر بهذه الرؤية ابن الأثير عندما أشار إلى الأصول الأندلسية لمرحلة الصليبيات واعتبرها حرباً ثأر بين المسيحية والإسلام. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج٩، ص١٣.
(٥٥) حلواني، المرجع نفسه، ص٤١.
(٥٦) الشهرستاني: نسبة إلى شهرستان من بلدان خراسان فيما يلي خوارزم يقال رباط شهرستانية واسمه الحسين بن الحسن كان قاضياً لدمشق زمن تاج الدولة تتش سنة ٤٧٧ هـ. انظر ترجمته في: ابن الجوزي، مرآة الزمان، مصدر سابق،ج١، ص٣١٤. السبكي، طبقات الشافعية،مصدر سابق،، ج٧، ص٧٣-٧٤. ابن الأثير، اللباب، مصدر سابق،ج٢، ص٢١٧.
(٥٧) ابن الجوزي، مراة الزمان،مصدر سابق، ج١، ص٣١٥.والسبكي،طبقات الشافعية، مصدر سابق، ج٧، ص٧٤.
(٥٨) العليمي، الأنس الجليل، مصدر سابق، ج١، ص٣٠٨.
(٥٩) عبد القادر، دريد: "سياسة صلاح الدين في بلاد مصر والشام والجزيرة ٥٧٠-٥٨٩هـ/١١٧٤-١١٩٣م"، بغداد، ١٩٧٩م، د.ط، د.ت.ص٥٨.
(٦٠) قاسم، قاسم عبده: -"ماهية الحروب الصليبية، الإيديولوجية- الدوافع- النتائج" ط٦ عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٢م.ص١٣٦.
(٦١) أبو سعد محمد بن نصر بن منصور الهروي أحد كبار القضاة المشهورين في الشام، قتله الباطنية سنة ٥١٩هـ، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج٩،ص٢٣٤.
(٦٢) ابن الأثير، المصدر نفسه، ج٩،ص١٩. سبط ابن الجوزي، مرآة الجنان، مصدر سابق، ،ج١،ص٣٢٧-٣٢٨..العليمي، الانس الجليل بتاريخ القدس الخليل،مصدر سابق، ج١، ص٣٠٨.
(٦٣) كان الخليفة المعاصر لتلك المحنة هو المستظهر بأمر الله أبو العباس أحمد العباسي.
(٦٤) العليمي، الأنس الجليل بتاريخ القدس الخليل، مصدر سابق، ج١، ص٣٠٨. ومن الفقهاء الذين أخرجهم لتحريض أمراء السلاجقة على نجدة الشام، القاضي أبو محمد الدامغاني، وأبو بكر الشاشي وأبو القاسم

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثاني الثلاثون – نيسان ٢٠٢٤– شوال ١٤٤٥
ISSN-2536-0027

الزبجاني وأبو سعيد الحلواني، وأبو الحسين بن سماك، ابن الأثير، الكامل في التاريخ،مصدر سابق، ج٩،ص١٩.

(٦٥) ابن شداد، محمد بن علي بن إبراهيم، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق: يحيى زكريا، وزارة الثقافة السورية، ١٩٩١، ص ٢٠٣، ٢١٨، ٢٤٠، وابن العديم، زبدة حلب، مصدر سابق، ج٢، ص٤٧٦؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، مصدر سابق، مج٥، ص١٨٤-١٨٥.

(٦٦)) أبو شامة، الروضتين، مصدر سابق، ج ١، ص ١٠٧؛ ابن واصل، مفرج الكروب، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٨٢.

(٦٧) قال ابن واصل عن سياسة نور الدين تجاه الصوفية: "بنى الربط والخانقاة للصوفية في جميع البلاد وأدر عليهم الإدارات الجليلة الكثيرة، وكان يحضر مشايخ الصوفية ويقربهم ويدنيهم، ويتواضع لهم". ابن واصل، مفرج الكروب،مصدر سابق، ج١، ص٢٨٣.

(٦٨) ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر سابق، ج ٥، ص ١٨٤-١٨٥.؛ ابن واصل، مفرج الكروب، مصدر سابق، ج١، ص٢٨٢.

(٦٩) ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، مصدر سابق، ص٣٥.

(٧٠) ابن عساكر، تاريخ دمشق، مصدر سابق،، ج٦٦، ص ٨٠، السبكي، طبقات الشافعية، مصدر سابق، ج٧، ص ٣٢-٣٣

(٧١) ابن كثير، البداية والنهاية، مصدر سابق، ج١٢، ص ٢٦٣.

(٧٢) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، مصدر سابق، ص٢٣٧، ٢٦٢

(٧٣) أبو شامة، الروضتين، مصدر سابق، ج١، ص١١٧؛ البيطار، أمينة، (١٩٧٩). التعليم في دمشق في القرن السادس الهجري، ضمن كتاب الكلمات و البحوث والقصائد الملقاة في الاحتفال مؤرخ دمشق الكبير ابن عساكر في ذكرى مرور تسعمائة سنة على ولادته ٤٩٩-١٣٩٩ه، وزارة التعليم العالي والمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، دمشق، ص ٢٣٧.

(٧٤) أشار ابن العديم، إلى أن بدر الدولة سليمان بن أرتق والي حلب حاول بناء مدرسة للسنة سنة ٥١٦ه ١١٢٢م فكان كلما بني شيئا في النهار يهدمونه في الليل حتى أحضر الشريف زهر بن علي بن الحسين وهو من وجهاء البلدة وأمره بمباشرة البناء، حتى انتهى إلى المدرسة المعروفة بمدرسة الزجاجين (ابن العجمي). ابن العديم،زبدة حلب، مصدر سابق، ج٢، ص٤٠٧-٤٠٨؛ ابن الشحنة، تاريخ حلب،مصدر سابق، ص ١٠٤؛ الشيخ خليل، حلب خلال الفترة ٤٩١-٥٢٢ه/١٠٩٩-١١٢٧م، ص١٦٤.

(٧٥) ابن العديم، زبدة حلب، مصدر سابق، ج٢، ص٢٧٦

(٧٦) هو أبو المعالي مسعود بن محمد بن مسعود تفقه بنيسابور، ومرر حتى أصبح من كبار الفقهاء وسمع الحديث فيها ودرس في المدرسة النظامية بنيسابور واشتغل بالوعظ ثم جاء دمشق سنة ٥٤٠ه/١١٤٥م، فعقد مجلس للتذكير وحصل له قبول وتولي التدريس بالمدرسة المجاهدية ثم بالزاوية الغربية ودرس في الجاروخية، ثم خرج لحلب للتدريس فيها ثم رجع واستوطن دمشق توفي سنة ٥٧٨ه/١١٨٢م، سبط ابن الجوزي،مراة الجنان، مصدر سابق، ج٨، ق١، ص ٣٧٢-٣٧٣؛ السبكي،طبقات الشافعية، مصدر سابق، ج٧، ص ٢٩١؛ ابن كثير،البداية والنهاية، مصدر سابق، ج١٢، ص ٣١٣.

(٧٧) ابن العديم، زبدة حلب، مصدر سابق، ج٢، ص٤٧٦.

(٧٨) هو سعد بن عبد الله بن أبي السري الشافعي، كان من أعيان وفقهاء عصره، ولد بالموصل سنة ٤٩٣ه/١٠٩٩م، وتفقه بها ثم بواسط ثم بغداد، وأقام بسنجار مدة ثم انتقل لحلب سنة ٥٤٥ه/١١٥٠م فدمشق، درس بالزاوية الغربية في جامع دمشق، وتولى أوقاف المساجد، ثم رجع الحلب، تولى قضاء سنجار ونصيبين وحران ودمشق، كما تولى القضاء في عهد صلاح الدين، وتوفي سنة ٥٨٥ه/١١٨٩م. بدمشق. ابن خلكان،وفيات الاعيان، مصدر سابق، ج٣، ص ٥٣-٥٤؛ السبكى،طبقات الشافعية، مصدر سابق، ج٢، ص ١٣٢-١٣٣.

(٧٩) ابن العديم، زبدة حلب، مصدر سابق، ج٢، ص٤٤٧٦

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثاني الثلاثون – نيسان ٢٠٢٤– شوال ١٤٤٥
ISSN–2536–0027

(٨٠) عبد الرحمن بن الحسن بن هبة الله الدمشقي ولد سنة ٥٥٥ه/١١٥٥م، اشتغل بالفقه منذ صغره وانفرد بالعلم والفتوى بالمدرسة الجاروخية ثم تولى التدريس بالتقوية، حتى عرفت في عهده بنظامية الشام، ولما عزم العادل بن ايوب على بناء مدرسته جعلها للشيخ الفخر الذي كان مدرسا للحديث بالإضافة للفقه. انت وفاته سنة ٦٢٠ه/١٢٢٣م. أبو شامة،الروضتين، مصدر سابق، ص٢٠٦-٢١٠.

(٨١) ابن العديم، زبدة حلب، مصدر سابق، ج٢، ص٤٧٦

(٨٢) بن شداد، الاعلاق الخطيرة، مصدر سابق، ص ٢٠٠-٢٠٢.

(٨٣) ابن العديم، زبدة حلب، مصدر سابق، ج٢، ص٤٤٧٦؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج٢، ص٢٦٧

(٨٤) أبو بكر بن مسعود بن أحمد، كان فقيها، عالما فوض إليه نور الدين التدريس بالحلاوية ثم التدريس بزاوية الحديث بجامع حلب، توفي عام ٥٨٧ه/١١٩١م بحلب. ابن فضل الله العمري،مسالك الابصار في ممالك الامصار، مصدر سابق، ج٦، ص ٨٩-٩١.

(٨٥) هو أبو عبد الله محمد بن محمد، أقام بحلب، وألف كتاب المحيط، كان من كبار فقهاء الحنفية، قدم حليب ودرس بالمدرسة النورية والحلاوية. ابن العديم، زبدة الحلب،مصدر سابق، ج٢، ص٤٧٦. ابن فضل الله العمري،مسالك الابصار في ممالك الامصار، مصدر سابق، ج٦، ص١١٨.

(٨٦) علي بن سليمان، خرج من الأندلس وتفقه ببغداد، قدم دمشق بعد ٥٤٠ه/١١٤٥م كان محدثا بالصحيحين. السبكي،طبقات الشافعية، مصدر سابق، ج٧، ص ٢٤٤-٢٤٥.

(٨٧) السبكي، المصدر نفسة،ج٧، ص ٢٤٤.

(٨٨) النعيمي، الدارس في المدارس، مرجع سابق، ج١/ص٤١٤.

(٨٩) ابن جبير، رحلة ابن جبير، مصدر سابق، ص٢٥٦.

(٩٠) ابن شداد، الاعلاق الخطير، مصدر سابق، ص ٢٤٥.

(٩١) النعيمي، الدارس بالمدارس، مرجع سابق، ج ١، ص ٤٤٩.

(٩٢) ابن عساكر، تاريخ دمشق، مصدر سابق، ج٢،ص٢٦٧.

(٩٣) ابن عساكر، المصدر نفسه، ج٢، ص٧٧.

(٩٤) الصفدي،الوافي بالوفيات،(ط٢،بيروت،١٣٨١هـ)، ج٣،ص٢٤١.

(٩٥) ابن عساكر، تاريخ دمشق، مصدر سابق، ج٦٦، ص ٨٠.

(٩٦) ابن عساكر، المصدر نفسه، ج٦٦، ص ٨٨.